مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020، ص - ص: 559 – 582
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الدعوة الدينية المرابطية
ـ أسسها وخصوصياتها وأثرها في قيام الدولة ـ
(447-542هـ/1055-1148م)

The Almoravid religious vocation
Its foundations, peculiarities and impact on the establishment of the state
(447-542A.H/1055-1148 A.D)

الشيخ عدة
كلية العلوم الإنسانية - جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
echchikh@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/12/16 تاريخ القبول: 2020/10/18

الملخص:

نحاول من خلال صفحات هذا المقال، الإشارة إلى دور الدعوة الدينية المالكية وأثرها في قيام الدولة المرابطية، هذه الدولة المعتمدة في تأسيسها على الدعوة الدينية السُّنِّية المالكية التي قادها الفقيه عبد الله بن ياسين، والمعتمد في إنجاحها ونشرها على قبيلة صنهاجة البربرية بالصحراء، والحديث فيه كذلك عن الأسس الدينية التي قامت عليها دولة المرابطين، هذه الدولة التي قامت منذ الوهلة الأولى على أساس ديني عقائدي خالص قائم على فكرة إعادة نشر وإحياء مبادئ الدين الإسلامي السُّنِّي الصحيح، وذلك وفق تعاليم مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، نظراً لتوافقها مع طبيعة المنطقة الصحراوية، وطبائع قبائلها البدوية كما هو الشأن بالنسبة لأهل المدينة المنورة.

كما سعينا فيه إلى تقديم تفصيل لأهم الأسس التي قام عليها حكم دولة المرابطين، والتي كان من أبرزها، تحقيق فكرة التوحيد المذهبي المالكي لبلاد المغرب والأندلس؛ وإعادة إحياء فريضة الجهاد وغيرها.

الكلمات المفتاحية: عبد الله بن ياسين؛ المرابطين؛ الإمام مالك؛ الدعوة الدينية؛ صنهاجة.

Abstract:

Through this article pages, we are trying to refer to the role of the Maliki religious vocation and its impact on the establishment of the Almoravid state, this state accredited in its establishment on the Sunni

Maliki religious vocation led by the jurist Abdullah bin Yassin, and which is dependent on its success and dissemination to the tribe of the Berber Sennhaja in the Sahara, and the conversation in it as well. On the basis of the religious foundations on which the Al-moravid state was founded, this state that was established from the very beginning on a pure religious ideological basis is based on the idea of re-publishing and reviving the principles of the true Sunni Islamic religion, according to the teachings of the doctrine of Imam Malik bin Anas, may God be pleased with him, given its compatibility With the nature of the desert region, and the nature of its Bedouin tribes, as is the case for the people of Medina.

We also sought in it to provide a detail of the most important foundations of the rule of the Al-moravid dynasty, the most prominent of which was the realization of the idea of Maliki doctrinal unification for the countries of Morocco and Andalusia; and the revival of the obligation of jihad and others.

Kay words: Abdullah bin Yassin; Al-Moravid; Imam Malik; Religious Dawa.

مقدمة:

عبر التاريخ العربي خاصةً والإسلامي عامةً؛ كثيراً ما نجد أنه قد كان للدعوة الدينية بجانب العصبية القبلية دور كبير في تأسيس العديد من الدول والكيانات السياسية، أو إقامة السلطان والملك على حد تعبير العلامة عبد الرحمن بن خلدون، مثلما كان عليه الحال بالنسبة للدولة الأموية والدولة العباسية، والإمارات المستقلة عنهما في المشرق وفي المغرب الإسلاميين والتي من بينها على سبيل الذكر: إمارة بني مدرار الصفرية بسجلماسة، والإمارة الرستميّة الإباضية بتاهرت، والدولة الإدريسية العلوية بفاس، والدولة الفاطمية الشّيعية الإسماعلية بالمغرب ثم مصر وغيرها، والتي إستندت جميعها إلى مذهب ما ودعوة دينية معينة، تنصرها وتؤازرها عصبية قبيلة محددة، وهو الأمر الذي ينطبق كذلك على دولة المرابطين السُّنية المالكية بالمغرب والأندلس التي هي محل دراستنا هذه.

فدولة المرابطين إذن؛ يعود الفضل في تأسيسها إلى الدعوة الدينية التي قام بها الفقيه والداعية عبد الله بن ياسين، الذي تبنى المذهب السُّنِّي المالكي وعمل على نشره وبثه في وسط قبائل الملثمين الصحراويين بزعامة قبيلة صنهاجة، مثلما كان قيام الدولة الموحدية عقبها على دعوة عبد الله بن تومرت المدعي للمهدوية في وسط القبائل البربرية بزعامة مصمودة. **فما هي إذن أسس وخصوصيات الدعوة الدينية المالكية التي قام بها عبد الله بن ياسين في أوساط المرابطين؟ وما مدى تأثيرها في تأسيس الدولة المرابطية؟**

وعن أهمية موضوع الدراسة، فهي تكمن في محاولة تبيين دور الدعوات الدينية وأصحابها في تأسيس الملك والدول في فترة العصر الإسلامي الوسيط، والتي من أبرزها، الدعوة الدينية المالكية بقيادة الفقيه عبد الله بن ياسين، التي كان لها الفضل في تأسيس الدول المرابطية، والتي يقول بشأنها عبد الرحمن بن خلدون برفقة الدولة الموحدية، مبينا دور الدعوة الدينية في تأسيس هاتين الدولتين:« وأعتبر ذلك أيضاً في دولة لمتونة ودولة الموحدين، فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد والعصبية أويشف عليهم؛ إلا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة»[1].

لكن وقبل الوقوف بالتفصيل على نموذج الدولة المرابطية لإبراز دور الدعوة الدينية المالكية في تأسيس هذه الدولة؛ يجب في البداية تقديم لمحة تاريخية عن هذه الدولة.

أولاً- لمحة تعريفية عن الدولة المرابطية وتسمياتها المتعددة:

قبل الحديث عن دعوة المرابطين ودولتهم العظيمة بالمغرب والأندلس، يجب أن نعرِّف في البداية بأصول هذه الدولة، وذلك لا يتأتى إلا بالحديث عن قبيلة صنهاجة التي تعتبر إحدى قبائل البرانس من البربر، وأنهم أعظم قبائلها بالمغرب فلا يكاد قطر من أقطاره، يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى زعم البعض أنهم ثلث البربر[2].

وقد ذهب ابن خلكان إلى أن أصلهم من حمير عندما قال: « والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ»[3]. ويعضد ذلك إلى مـا نقله ابن أبي زرع

عن أبي فارس بن عبد العزيز الملزوزي الشاعر رحمهما الله في أرجوزته في التاريخ المسماة بنظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك:

مرابطون أصلهم من حِمْيَر *** قد بعدت أنسابهم عن مضر
وإن صنهاج سليل حمير*** وهو ابنه لصلبه لا العنصر
أكرم به من نسب صريح *** فقله لا تخفه بالتصريح
عدلهم وفضلهم مشهور*** ومجدهم وسعدهم مذكور[4].

وذلك على العكس من الناصري الذي قال: «والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر»[5].

وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم لمتونة وجدالة ومسوفة ومسراته ومداسة وبنو وارث وبنو مسفير وبنو دخيرن وبنو زياد وبنو موسى وبنو قشتال[6] وغير ذلك، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوق الحصر، وهذه القبائل كلها صحراوية، وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان إحداهما: دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين بإفريقية، ورثوا ملكها من يد الشِّيعة العبيديين ، والأخرى دولة الملَّثمين بالمغرب والأندلس وموطنهم أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً[7].

وقد كان أول ظهور للمرابطين عندما كونوا أول حلف ضَمَّ أهم قبائل صنهاجة الجنوبية بزعامة أمير لمتوني يدعى- يتلوتان بن تلاكاكين- الذي ملك بلاد الصحراء بأسرها، ودان له بها أزيد من عشرين مملكة من ممالك السودان، تؤدي له الجزية بانتظام، ودامت أيامه وطال عمره نحو ثمانون سنة إلى أن توفي سنة (222هـ/836م)، فتوارث عقبه الحكم إلى سنة (306هـ /913م)، وتصدع الحلف بسبب خلافات داخلية وبقي كذلك 120 سنة. وبما أن قبائل اللِّثام لا يمكن أن يستقيم لها حال؛ إلا إذا اتحدت كلمتهم، فقد أعيد تشكيل حلف ثانٍ بين قبائل لمتونة وجدالة ومسوفة بزعامة - محمد بن تيفاوت اللَّمطي-[8]، بهدف استرجاع دور الوساطة التجارية بين قبائل الصحراء، والتي كانت تشكل مصدر رزق للقبائل الصنهاجية وأصبحت مهددة من طرف مملكة غانا في

الجنوب، لكن الزعيم الجديد لقي حتفه في إحدى المعارك مع مملكة غانا، فولي أمر صنهاجة يحيى بن ابراهيم الجدالي[9] الذي كان صهره[10].

وقد اشتهرت القبائل الصنهاجية في التاريخ باسم الملَّثمين، وأصبح اللِّثام شعارهم إلى أن تسموا بالمرابطين، ويرى بعض المؤريخين أن الملثَّمين ينتسبون إلى قبيلة لمتونه إحدى بطون صنهاجة، وكانت لمتونة تتولى رئاسة سائر قبائل مسوفة ومسراته ومداسه وجدالة ولمطة وغيرها، ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة على عهد الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، ويبدوا أن إطلاق اسم الملثمين كان في البداية خاصاً بقبيلة لمتونة، وأصبح فيما بعد شعارًا لكل من حالفهم ودخل تحت سيادتهم من القبائل[11].

وأما عن الأصل في التسمية وتنوعها: فقد تعددت الروايات عن تسميتهم بالملَّثمين، وهي تعود حسب بعض الأقوال منها:« أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم»[12]. ومنها أيضاً: «أنهم آمنوا بالرسول ﷺ وكانوا قلة فاضطروا للهرب، عندما غلبهم أهلال كفر فتلثَّموا قصد التمويه»[13].

وقيل أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية، ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء، فإذا أتاهم العدو ظنُّوهم النساء فيخرجون عليهم، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو، وهكذا اتخذوا اللثام سنةً يلازمونه ليلاً ونهاراً، ولا يعرف الشيخ منهم من الشاب[14]، وارتقى عندهم إلى مستوى رفيع في حياتهم وأعرافهم.

والمرجح في استخدام اللِّثام هو أن يكون قد اتُخذ في أول مرة للحماية من الغبار ومنغصات جو الصحراء، فتوارثه الأبناء عن الآباء حتى صار عادةً بمرور الزمن، ويعزز هذا الرأي أن بدو الصحراء في شبه الجزيرة العربية والطوارق في الصحراء إفريقيا الغربية، والذين تؤكد بعض الروايات أنهم أحفاد المرابطين لا يزالون يتلثمون إلى اليوم لنفس هذه الأسباب[15].

أما عن تسمية المرابطين، فقد تضاربت الروايات حول ذلك إذ عزا بعض المؤرخين سبب هذه التسمية إلى اعتصامهم بالرباط الذي أنشأه عبد الله بن ياسين[16] في الحوض الأدنى لنهر السنغال، عند بداية حركته الإصلاحية سنة (433هـ/1042م)[17].

بينما أرجع البعض ظهور هذا الاسم إلى المرحلة التي أعقبت خروج أنصاره من الرباط لقتال بعض القبائل اللَّمتونية المعارضة لدعوته، وكسر شوكتها في إحدى المعارك؛ حيث تمَّ إطلاق اسم المرابطين عليهم تكريماً واعتزازاً بصبرهم وجهادهم[18]، في حين يستشف من رواية أخرى أن هذا الإسم لم يطلق على جيش عبد الله بن ياسين[19] إلا بعد النصر الذي حققه على حساب دولة برغواطة سنة (450هـ/1058م)[20]. ومما قيل في اللِّثام:

قومٌ لهم درك العلا في حمير *** وإن انتموا صنهاجة فهم همُ

لما حووا إحرازا كل فضيلةٍ *** غلب عليهم الحياء فتلثموا[21].

ثانياً- الأسس الدينية للدعوة والدولة المرابطية:

قامت دولة المرابطين على أساس نشر المذهب المالكي، ومحاولة بعث القوى الإسلامية واستنهاض همتها من جديد، بعدما دبَّ الانقسام في البلاد الإسلامية ولم يعد للعباسيين قدرة للسيطرة عليها، وظهرت بها الانحرافات والابتعاد عن تعاليم وضوابط الدين الصحيحة، ومن ثمَّ العمل بكل جهد على العودة بالمجتمع إلى عهد السلف الصالح.

وقد اعتمدت في التمكين لنفسها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلنت حرباً على البدع والخرافات، فحطمت دنان الخمر وكسرت آلات الطرب، وطالبت الناس بالقيام بفروض دينهم، ولذلك لقيت دعوة المرابطين الترحيب أينما حلت، واستنجد بها الفقهاء والعلماء لتخليص البلاد الإسلامية من المفاسد والمظالم، وفتحت المدائن والبلدان أبوابها لهؤلاء الملَّثمين المجاهدين الذين لا يبغون من الحياة الدنيا سوى الإصلاح[22]. وفيما يلي أهم الأسس الدينية التي قامت عليها دعوة وحكم دولة المرابطين:

1- إعادة إحياء وبعث فريضة الجهاد: لقد توسعت دولة المرابطين في مبدأ الجهاد كثيراً، وأعادت إلى الأذهان صورة الفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء

الراشدين والأمويين والعباسيين من بعدهم، فعاشت من أجل الجهاد طوال فترة حكمه االقصيرة، وسخرت كل مواردها لهذا العمل الجليل، وجعلت من البلاد التي فتحوها وتملكوها معسكراً ضخماً تدوي فيه طبول الجهاد، ورغم انشغالها بهذا الركن العظيم، إلا أنها لم تغفل باقي الجوانب الحضارية والاجتماعية في هذه البلاد، وأرست قواعد الأمن والطمأنينة بين الناس، فازدهرت الحياة الاقتصادية والثقافية في جميع أرجاء الدولة[23].

فقبائل الملَّثمين التي قامت على أكتافها دولة المرابطين كانت في الواقع قبائل بدوية، ولكنها امتازت بأنها قبائل بناءة وغير مخربة، فلم تكن تغزوا غيرها من القبائل لمجرد السلب والنهب، بل من أجل نشر عقيدة سامية ولتصلح ما هو أعوج في الدين، والفضل في ذلك كله كان لإمامهم عبد الله بن ياسين الذي رباهم في رباطه الإسلامي على عقيدة التقوى والجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام[24].

فقد أثرت فيهم هذه العقيدة الرفيعة التي مارسوها في البدء في رباطه، كما فتحت عقولهم للثقافة الإسلامية والتراث الأصيل، وتركت تعاليمه في نفوسهم أبلغ الأثر فبادروا منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامهم أرض المغرب، يُقبلون على المدارس بشغف كبير ولم يتخلفوا عن الركب، بل إنهم انكبوا على العلوم ينهلون منها ويأخذون منها بنصيب وافر[25].

2- التوحيد المذهبي المالكي لبلاد المغرب والأندلس: عندما قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة (172-364هـ/789-975م)، دعمت ووطدت المذهب المالكي بالبلاد؛ لكن خلال الفترة التي أعقبت سقوط هذه الدولة وحتى قيام دولة المرابطين، دخل المذهب المالكي في صراع مع المذاهب الأخرى من شِّيعة وخوارج وغيرها من المذاهب حتى انتصر في النهاية[26].

وتعتبر قضية التوحيد المذهبي من أهم المسائل التي عمل المرابطين على تحقيقها في بلاد المغرب، حتى تمكن المذهب المالكي في عهدهم من السيطرة على باقي المذاهب المنتشرة بالمغرب وفي مقدمتها المذهب الكوفي الذي كانت له الصولة في المغرب، والمذهب الخارجي الذي كانت تعتنقه إمارة بني مدرار بسجلماسة، والمذهب البورغواطي الذي كان قد باض وفرخ في تامسنا[27]،

والمذهب الإعتزالي والشِّيعي الذي يقال: «إن قرنه طلع مع نشوء الدولة الإدريسية»[28].

فقد كان قيام دولة المرابطين نصرًا للمذهب المالكي في المغرب، وتأكيداً لدور علماء المذهب، فالدولة أساساً هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك، ثم تطورت من مجرد دعوة إصلاحية إلى حركة جهادية، خلصت المغرب من الضلالات المنتشرة به كبدعة برغواطة، ووحدت بلاد المغرب في ظِّل تعاليم الإمام مالك، وتعزى أسباب ذلك إلى مدى النفوذ الذي كان يتمتع به علماء وفقهاء المالكية في الدولة المرابطية، وذلك بفضل دراستهم للمذهب وتطبيقهم لأحكامه في شتى مجالات الحياة، وإلى تأييد ولاة الأمور المالكيين وعلماء الدولة المالكية[29].

وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي: «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِمَ عِلْمَ الفروع أعني فروع مذهب الإمام مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فلم يكن أحدٌ من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء»[30].

وقد صارت الفتيا والأحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك حتى نهاية حكم الدولة المرابطية ولا يلتفت إلى غيرها من الأحكام، وقد أكدت الرسالة الصادرة من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل بلنسيه سنة (538هـ/1143م) ذلك، والتي حدد فيها لهم أن مناط الأحكام في الدولة هو مذهب الإمام مالك ﷺ. كما صارت المدن المغربية أثناء حكم المرابطين مراكز لدراسة المذهب المالكي وتخريج العلماء المالكيين، ومن هذه المراكز مدينة تلمسان التي كانت دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك[31].

من جهتها هي الأخرى؛ كانت الخطة القضائية بدورها بيد الفقهاء أيضاً، فكان الفقهاء مشرفين على إنشاء الأحكام وتطبيقها حتى أن الأمير علي ابن يوسف[32] كان «إذا ولى أحدًا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرًا ولا

يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء[33]، أي من الفقهاء المالكية.

وأنجبت البلاد الكثير من علماء المالكية الذين حفلت بهم المجالس والندوات ودور العلم، وفي مقدمتهم القاضي عياض[34]، الذي برز دوره في رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن علي والموحدين، فكان بذلك المدافع عن مذهب الإمام مالك ضد الدعوة الموحدية القائمة على أفكار المهدي بن تومرت، التي ارتكز فيها على تشبث العلماء والفقهاء المرابطين بالفروع وتركهم للأصول، ومعارضتهم لعلم الكلام، إلى أن الملاحظ هو ابن تومرت لم يستطع مهاجمة المذهب المالكي الذي أصبح عقيدةً ومذهباً لعامة الشعب، مما جعله يتحايل عليهم بأن ألف لهم موطأ جمع فيه جميع الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بعد حذف معظم الإسناد منها للاختصار[35].

ونظرا لمكانة هذا المذهب وتقديراً لتضحيات المرابطين وحفاظاً على وحدة البلاد، فقد كان من الطبيعي أن يتصدى الأمراء المرابطين لكل المواقف والأحكام المخالفة لهذا الاعتقاد الذي تقوم عليه سياسة الدولة وتقاليدها، وأن يعتبروها بدعاً يجب محاربتها والتخلص منها، كما هو الشأن بالنسبة لكتب الغزالي التي اعتبرت مثالاً للانحراف عن الاتجاه الرسمي للدولة، ومهما يكن من أمر فإن المذهب المالكي قد توطد فقهاً واعتقاداً في بلاد المغرب أثناء عصر المرابطين خاصة[36]. وقد شايع المغاربة مذهب مالك فقهاً وسلوكاً وعقيدةً، إلى أن تجدد الجدل المذهبي في بلاد المغرب في أواخر العهد المرابطي مع الموحدين، واشتد الخلاف بينهم إلى حد التناحر والقتال وتكفير طرفاً للآخر[37].

من جهة أخرى، فقد واكبت الرسائل المرابطية هذا الصراع المذهبي في بلاد المغرب وعكست حرص المرابطين الشديد على وحدة المذهب المالكي ومنها مثلاً: رسالة تاشفين بن علي إلى واليه على بلنسية أبي زكريا يحيى بن غانية التي يحثه فيها على ضرورة التمسك بمذهب الإمام مالك والتصدي لما سواه، وضرورة الالتزام بالإفتاء وفق المذهب المالكي[38]. ومما ورد فيها قوله: «وأعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدا على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله، من الاقتصار على مذهب

إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس ﷺ، فلا عدول لقاضٍ ولا مفتٍ عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال من الأئمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه وأتبع هواه»[39].

يأتي هذا النص في إطار نصرة المرابطين للمذهب المالكي السُّني ومحاصرة التيار الشِّيعي، ومحاربة الفوضى المذهبية والفكرية التي تسببت فيها بعض الحركات الفكرية في الأندلس كحركة ابن مسرة، وابن برجان، وابن قسي[40].

ولعل هذا ما يساعدنا على فهم أمر تاشفين بن علي الموجه إلى قضاته الذي يقضي بضرورة الالتزام والاقتصار على مذهب الإمام مالك، واتخاذه دليل العمل الوحيد في أحكامهم وفتاويهم، وتهديد عدم الملتزمين به بالعقاب باعتبارهم خارجين عن الإجماع الذي أتفق عليه السلف الصالح، والذي سالت دماء المرابطين من أجل جمع كلمة المغاربة عليه.

3 - محاربة البدع والضلالات والتصدي لها: من أجل فرض الالتزام بالمذهب المالكي في دولتهم في جميع المعاملات والعبادات، اعتبرت البدع على رأس القضايا التي تجند المرابطون للجهاد ضدها رافضين أي تحريف في الدين أو تبديل فيه؛ إذ تصدوا لها بقوة من خلال الأمر بمعاقبة أصحابها والقضاء على معالمها، وذلك حفاظاً على وحدة الأمة وسلامة دينها ومذهبها الرسمي، ولذلك كان أمراء المرابطين يبادرون إلى تنبيه أتباعهم على ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة وسلامة أداء الفروض الدينية، واجتناب أي تحريف أو تبديل قد يخل بأصول العقيدة الإسلامية.

من هذا المنطلق تصدى المرابطون لكل الأفعال التي تسيء إلى الدين، ويتضح ذلك من مواقفهم التي تعكسها رسائلهم، كالرسالة التي بعث بها الأمير علي بن يوسف إلى القائد أبي محمد بن فاطمة عامله على اشبيلية، يأمره فيها بعزل أي عامل عن عمله ومعاقبته في بدنه إذا ما ثبت عليه أي تحريف في الرسوم الدينية ومما ورد فيها قوله: «ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو خرق في أمر عادة، أو غير رسم أو بدل حكماً، أو أخذ لنفسه درهماً ظلماً، فأعزله من عمله وعاقبه في بدنه»[41].

يتبين من الرسالة أيضاً موقف المرابطين الداعي إلى تقيد العمال في شؤون تدبير حكمهم بأصول العقيدة الصحيحة التي جاهدت الدعوة المرابطية من أجل تثبيتها في البلاد، وعدم السماح بأي تحريف لرسومها أو انتفاع منها ومعاقبة المخالفين لأوامرها، ولعَّل من أبرز المظاهر تجسيداً لموقف المرابطين الصارم من البدع حفاظاً على وحدة المذهب المالكي- قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين- للإمام أبو حامد الغزالي، والتي بدأت في عهد الأمير علي بن يوسف وامتدت إلى عهد ابنه تاشفين[42]، وتجاوز صداها البلاد المغاريبية نحو بلاد المشرق في مطلع القرن السادس الهجري.

كما إننا نجد في رسائل المرابطين ما يؤكد دعوتهم إلى إحراق كتب البدعة واستئصال شأفتها، ومنها كتب أبي حامد الغزالي التي وردت الإشارة إليه بالاسم في إحدى رسائل تاشفين، ومما جاء فيها قوله مخاطباً أحد ولاته: «... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة وخاصةً وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها»[43].

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اتفقت الأمة الإسلامية على وجوب الأخذ به امتثالاً لأوامر القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة والمتمثل في قوله تعالى: ﴿وَلِتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الَمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 104).[44]

ويرى بعض المؤرخين أن فقهاء المالكية في المغرب خاصةً زمن المرابطين، قد شنُّوا حرباً على المنكرات، فضيقوا على أهلها في ملاهيهم؛ بل حاربوا أصحاب العقائد الضالة من الصفرية والإباضية، وكان طبيعياً أن يرتسم عبد الله بن ياسين خطى هؤلاء الفقهاء، فلم يكتف بتعليم الناس وتفقيههم في دينهم؛ بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، واستطاع أن يجند أمةً بأسرها تقوم بذلك، وأن يخلق جيلاً من المحاربين الأشداء الذين يتعصبون لفكرته، ويسارعون إلى نصرته ويبايعونه على الحق، وهو في ذلك قد التزم حدود الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر بقلبه وبلسانه، وسالم

وأصلح، أنذر وأعذر، حتى أخفق فلم يجد مناصاً من سل السيف دفاعاً عن الحق[45].

وإذا كانت أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي: «بألا يؤخذ مال المسلم بغير حق، ولا يضرب ظهره بغير حق»[46]. فإنه لم يرد عن ابن ياسين أنه تجاوز هذا الحد، وإن كان لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن: «يهتك حريماً ولا أن يأخذ مالاً بغير حق»[47]. فإن ابن ياسين قد عف عن ذلك؛ بل كان حرباً على الإثم والبدع أينما كانوا، فلا تكاد عصبته تطأ أرضاً حتى تغير المنكر، وتقطع المزامير، وتريق دنان الخمر[48].

5- التزام أحكام الشرع في الفروض الدينية: اهتم ابن ياسين بتعليم الناس الصلاة والزكاة وأحكام الصيام بعدما، وجدهم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين[49]. فإقامة الصلاة وتأديتها كانت تحتل ركناً أساسياً في اهتمامه، بإعتبارها الركن الأول من العبادة بعد الشهادتين، لذا كان يلزم أتباعه بالمواظبة على الصلاة وتأديتها مع الجماعة، ومن تخلف عنها يضربه عشرون سوطاً[50]، ويرجح ربما ذلك لجهلهم بأركان الصلاة حتى تصح صلاتهم، وقد أدى هذا العقاب الذي فرضه ابن ياسين إلى أن الكثير منهم كان يدخل الصلاة بغير وضوء عندما يحين وقتها خشية العقوبة[51].

وأما الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الدين، فقد بين عبد الله بن ياسين لأتباعه مقاديرها وحددها لهم وفق معايير الشرع، وقضى على كل المغارم والمكوس والأموال التي كانت تخالف أحكام الدين[52].

ومن هذا نستخلص أنه من بين المبادئ الإصلاحية التي أخذ بها عبد الله بن ياسين في دعوته، هو أن يزيح على الناس ما كانوا ينأون منه من ضرائب جائرة فرضها الحكام الظالمين على رعيتهم، وقد اضطر ابن ياسين إلى رفعها عن الناس، واكتفى بما أوجبه كتاب الله وسنة نبيه عليهم من زكاة وعشر على أهل الذِّمة الذين يتاجرون في بلاد المسلمين، كما كان ابن ياسين يرتب العمال في كل البلاد التي يحل بها، ويأمر بإقامة العدل وإظهار السُّنة، وأخذ الزكاة والعشر من القبائل، وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم التي طالما كانت السبب في تمردهم وانحرافهم عن الجادة[53].

فكان لهذه الإصلاحات التأثير البالغ المدى في تاريخ الدعوة المرابطية؛ بأن أظهرت للناس في بلاد المغرب والأندلس أن المرابطين لا يبغون جاهاً ولا مالاً؛ إنما يبغون الإصلاح وإنقاذ الناس من الجور والعسف، فأخذ الناس يتطلعون إلى هذا الشعب الذي بُعِثَ بعثاً جديداً، ويستنجدون بهم من ظلم حكامهم، ويرحبون بهم، وتأييدهم في كل مكان[54].

ثالثا- البعد المالكي للدعوة المرابطية:

يبدو أن عوامل عدم تقبل قبائل صنهاجة الصحراويين للنزاعات الباطنية والعقائد الضاربة في التجريد كالأشعرية والإسماعيلية وباقي الفرق الباطنية البعيدة عن أفهام العامة، إلى جانب الحضور القليل للمتكلمين في الصحراء وضآلة تأثيرهم، قد أدى إلى اختفاء معتقدات هذه الفرق في التوجه الديني المذهبي المرابطي، وكانت هي الفاعلة لتمكين المذهب المالكي في الصحراء وفي فكر الحركة المرابطية، فطبيعة المذهب المالكي من حيث جوهره هو الإبتعاد عن أساليب أصحاب علم الكلام والرأي، ومن ثمَّ ذلك التقليد المالكي القائم على كراهة ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام، فالمذهب المالكي لا يقوم على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية.

ولعَّل هذا جميعه هو الذي جعل المذهب المالكي يمثل الوجه الأخر لعقيدة السلف التي هي على الأرجح المذهب الذي تقبله أهل الصحراء لبساطته ووضوحه، وربما هذا الواقع هو الذي عناه ابن خلدون حين قال: «فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضاً ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع لغيره من المذاهب»[55].

وإن هذه الخاصية التي امتاز بها المذهب المالكي، تكون هي التي جعلت قبائل صنهاجة تميل إليه، كونهم بدوًا لا يتقبلون المذاهب الفكرية التي تميل إلى التعقيد كالأشعرية، ومن هنا كان الصنهاجيون يميلون دائماً إلى الأفكار التي تلائم حياتهم المتمثلة في زهد موغل في البساطة، وورع صارم يتمثل في

صرامة الأحكام وسد الذرائع[56]، إلى جانب قدرة مشهورة على التكيف مع الواقع وما يطرحه بين الحين والآخر من مشاكل تستدعي إيجاد مقابلاً لها على مستوى الفقه المالكي.

كما لا ننسى ارتباط المشروع المرابطي بمجموعة من الفقهاء المالكيين أمثال أبي عمران الفاسي، ووجاج بن زللو اللمطي[57]، وعثمان بن مالك وهو زعيم فقهاء المغرب بوقته، وعبد الله بن ياسين، قد جعل الخطاب السياسي للحركة مالكياً منذ اللحظة الأولى، وأن قيام الدولة المرابطية قد مكن للمذهب المالكي بين الرعية وبين أهل الحكم أنفسهم.

ويتأكد التلازم بين السياسي والديني على مستوى السلطة المرابطية ، وارتباط صحراء الملَّثمين بهما من مراجعة فتويين وردتا في المعيار المغرب للونشريسي إحداهما للفقيه ابن رشد[58]، والأخرى للفقيه ابن حمدين[59]، وهما إجابة عن سؤالين وردا من مرابطي الصحراء، بشأن الأموال المكتسبة من المواشي التي خالطها المال المغصوب من عملية السلب والنهب التي ظلت بعض قبائل المنطقة تمارسها ربما قبل بدء أمر المرابطين.

فاستفتاء هذين الفقيهين يدل على الارتباط الرسمي للمذهب المالكي بالسلطة؛ إذ أن المعنيين كانا من كبار قضاة المرابطين، فإبن حمدين هو متزعم عملية الإحراق المشهورة لكتاب الإحياء لأبو حامد لغزالي، وكان يتبنى علناً خطاب الدولة ويدافع عنه، أما ابن رشد فقد ظَلَّ من كبار فقهاء الحكم المرابطي رغم أنه وقف من عملية الإحراق موقفاً صامتاً يفهم منه أنه كان لكتاب الإحياء أكثر مما يكون عليه، إلا أنه ظلَّ يحترم الشرعية المرابطية ويذكر رموزها بالتعظيم، وتَرَافُق الموقف السياسي والفكري الداعم للمذهب المالكي في دولة المرابطين يمكن فهمه من قول ابن حزم الذي مفاده أن مذهبين انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان وهما مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك بن أنس[60].

وإلى جانب هذا التعلق الصحراوي بالمذهب المالكي الرسمي للدولة وممثليه، ترد إشارات هامة ضمن فتوى ابن رشد تؤكد حضور الوجه الآخر لعملية التعلق نفسه وهو الوجه السياسي، فالفتوى الرشدية تشير إلى أن الأموال المختلطة المشار إليها كانت تقدم منها الهدايا لأمير المسلمين، ناهيك

عن أنها تُصرِّح كذلك بوجود أمير مرابطبي على الصحراء وقبائلها، وهو الأمر الذي يؤكد أن المنطقة قد ظلَّت على تبعيتها القوية للسلطة المرابطية في مراكش ومذهبها الديني على الأقل حتى عهد على بن يوسف بن تاشفين (537.500هـ/ 1142.1102م).

ومهما كان دور هذه الملابسات في إبقاء المذهب المالكي إطارًا لإسلام الصحراويين وعلاقتهم بالمرابطين، فإن المستوى المعرفي يظَّل الفيصل في ترسيخ المالكية بين طبقة الفقهاء المرابطين والدعاة الذين بعثوا مشروع الدعوة المرابطي، ومهدوا للمذهب المالكي في الصحراء[61].

رابعاً- خصوصية حقل الدعوة الدينية المرابطية:

كان دين قبائل صنهاجة أهل اللِّثام المجوسية شأنها شأن برابرة المغرب، ولم يزالوا مستقرين على تلك الحال حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس لعهد المائة الثالثة[62]، وعلى حسب ما ذهب إليه ابن خلدون أن إسلام صنهاجة اللِّثام قد بدأ في عهد عقبة بن نافع وتأكد في عهد الأدارسة، ووضح وضوحاً تاماً في القرن الثالث الهجري[63].

وعلية تكون قبائل صنهاجة الصحراء قد تعرفوا على الإسلام لأول مرة بعد اصطدامهم بحملات الفتح العربي، والذي مسَّ بشكل خاص قبائل صنهاجة الموغلة في بلاد السوس الأقصى، إلا أن هذه العملية لم تؤد إلى إسلام كل الصحراويين لأن المصادر تحدثت بعدها عن سرايا ظلت تنطلق من السوس في اتجاه الصحراء، ويفترض أنها وصلت إلى حدود نهر السنغال.

والواضح أن هذه العمليات الخاطفة كانت موجهة ضد الإتحاد الصنهاجي الذي كان يقوده أمراء عشيرة- أنْبيتا-[64] اللَّمتُّونية الذي استمر مسيطراً على أودغست (306هـ/918م)، إذ وبعد تفكك هذا الاتحاد لم تشر المصادر إلى حملات أخرى على المنطقة، فهل يتعلق الأمر بحصول سكان الصحراء آنذاك على درجة من الإسلام كافية لحمايتهم من الفاتحين؟. فربما كان الأمر كذلك وإلا لما ذكر الإخباريون أن صنهاجة في تلك الفترة كانوا على السنة مجاهدون للسودان، وأن رئيس حلفهم عبد الله بن تيفاوت كان من أهل الفضل والدين والحج والجهاد.

إلا أن هذا الإسلام السُّني والجهاد ضد مشركي السودان قد لا يعني تعميق الإسلام بين الصنهاجيين، بدليل سطحية إسلامهم التي كشف عنها في البداية داعية المرابطين عبد الله بن ياسين، بل إن ما يمكن فهمه من ذلك المذهب السُّني هو تميز الإسلام الصنهاجي عمَّا جاوره من المذاهب والفرق المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم ينسب الصنهاجيون إلى أي من تلك الفرق والمذاهب، ولم يصنفوا في الروايات التي أشارت إليهم إلا في عداد أهل السُّنة؛ ولكن هل كانت هذه الخصوصية التي اتسم بها إسلام صنهاجة الأول عاملاً حاسماً في الإختيارات المذهبية للدعوة المرابطية؟.

فالباحثون يربطون بين المشروع المرابطي وعملية المد السَّني التي بدأها الأشاعرة في المشرق، ويعتبرون الحركة المرابطية عملية محاصرة للمذهب الاسماعيلي من الغرب استكمالاً للدور الذي قام به السلاجقة شرقاً، وبالتالي فإن رحلة الزعيم يحي بن إبراهيم الجدالي إلى الحج، تكون قد تأثرت بهذا المد السُّني خصوصاً وأن موسم الحج عادة ما يكون مناسبةً للفرق الإسلامية تتلقف فيها الحجاج لتنشر بينهم مبادئها وآراءها[65].

إذ أنه بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، عرف القرن الخامس الهجري رد فعل قوي ضد المذهب الشِّيعي، سواء في الجناح الشرقي للعالم الإسلامي أم الجناح الغربي منه؛ بحيث يرى بعض الباحثين ومنهم عبد الله العروي أن قيام الدولة المرابطية كان في إطار رد الفعل هذا؛ أي ضد التشيع في الجناح الغربي من العالم الإسلامي، موظفة في ذلك المذهب المالكي[66].

ومن غير المستبعد أن يكون الدعاة السُّنِّيون في مكة والمدينة والقيروان هم من بادر بالاتصال بيحي بن إبراهيم، وعرضوا عليه تعليم قومه شؤون الإسلام وأحكامه، أو لعلهم أحالوا الأمير الصنهاجي إلى قادة المالكية في القيروان لقربهم من بلاده نسبياً، ولدرايتهم بشؤون المغرب الإسلامي، ومن هنا يصبح داعية المرابطين الأول عبدالله بن ياسين وخلفاؤه مندرجين في سلسلة من الدعاة السُّنِّيين العباسيين[67].

كما أن محدودية الخصوم من أشاعرة وإباضيين وإسماعيليين في صحراء الملَّثمين التي كانت تعرف وجود نحل وديانات وفرق تتراوح بين

الأديان السماوية، والأفكار الوثنية(اليهودية، المجوسية، عقائد الشرك..الخ)، إلى جانب القبائل المعتنقة لآراء الفرق الإسلامية المبتدعة والتي لم يكن حضورها في المنطقة إلا سياسياً واقتصادياً، مما جعل مواجهتها من قبل المرابطين تغلب بالسيف والسنان لا بالقلم واللسان، وهو ما فتح المجال أمام عبد الله بن ياسين ليدعو للمذهب السُّنِّي المالكي وينشره بين الصنهاجيين، ولعَّل هذه الخصوصية الدعوية هي التي جعلت بعض الباحثين يعتبر أن الدعوة المرابطية في الصحراء قد قامت بنشر الإسلام السُّنِّي، بدل المذهب الإباضي الذي كان قد انتشر في المنطقة على يد الدعاة الإباضيين الأوائل أمثال السمح بن عبد الأعلى المعافري، وعبد الرحمن بن رستم[68].

الخاتمة:

كخلاصة لهذا البحث نقول: أن اختيار عبد الله بن ياسين من قبل فقهاء المالكية في افريقية والقيروان للقيام بأمر الدعوة السُّنِّية في أوساط قبائل صنهاجة الملَّثمين وفق تعاليم المذهب المالكي، كان موفقاً إلى حد كبير، كونه أعرف الدعاة بلغة وعادات وأعراف قومه، لذا نجده قد سار في دعوته لقبائل الملَّثمين الصنهاجية سيرة حسنة نقية، فتدرج بهم من مرحلة التعريف بدعوته إلى التكوين، ثم التنفيذ الممهد لمرحلة التمكين الذي تحقق بعد استشهاده على يد الأمرين أبو بكر بن يحي اللَّمتوني، والقائد يوسف بن تاشفين وأبنائه من بعده، الذين واصلوا من خلال فتوحاتهم في بلاد المغرب وجهادهم بالأندلس دورهم في دعم المسلمين وتثبيت الإسلام بهاته المناطق وفق تعاليم المذهب السُّنِّي المالكي التي رسمها داعيتهم الأول ابن ياسين.

الملاحظ هو أن المرابطين ومن الوهلة الأولى لتجسيد دعوتهم وتمكينها، قد أقاموا دولتهم على قواعد إسلامية صرفة من حيث البناء والأساس، فكانت بذلك دولتهم في مجموعها ذات نظام سياسي وديني محض، يرمي إلى تعميق الأمن والاستقرار والتماسك، والوحدة في بلادهم كلها في المغرب والأندلس، القائمة على أسس المذهب المالكي، وتعاليم الإمام مالك رحمه الله في تسيير شؤون الدولة والرعية، وفي الفتيا، والشورى، والقضاء، والتي تستمدُّ أصولها

من القُرآن والسُّنَّـة، مُعلِّلاً لكلَّ ذلك ومبرهنًا له من واقائع حكمهم وحياتهم آنذاك.

ظلت معظم بلاد المغرب الإسلامي موحدة سياسيا ومذهبيا في يد المرابطين مدة قرابة القرن من الزمن، إلى أن ظهرت دعوة دينية جديدة مضادة لهم بقيادة الفقيه عبد الله بن تومرت، المستند بدوره إلى عصبية قبيلة مصمودة، والتي كانت سبباً في سقوط وزوال دولة المرابطين ووراثة أملاكهم في بلاد المغرب والأندلس.

كان من سوء حظ الإسلام أن ظهرت دعوة الموحدين، والمرابطون في عنفوان جهادهم في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس، مما أضاع على الإسلام فرصة كبيرة للاستفادة من جهود هذه الجماعة المجاهدة التي بذلت الكثير، وكانت تستطيع أن تبذل الأكثر من أجل نصرة الإسلام والمسلمين.

المصادر والمراجع:

1- أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، ت(681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1984، د.ط.

2- أبو الحسن علي ابن أبي زرع، ت(726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح: يوحنا تورنبرغ، طبعة أوبسالية، سنة 1917، د.ط.

3- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لدول المغرب الأقصى، تحقيق: ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، د.ط.

4- أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذاري المراكشي، كان حيا سنة(712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1967.

5- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، ت(914هـ). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، تحقيق: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م.

6- أبي عبيد عبد الله بن مصعب البكري، ت(487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د(ط . ت).

7- أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي محيي الدين المراكشي، ت(647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة 1426ه/2006م.

8- أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي ابن خاقان، ت(529هـ).قلائد العقيان ومحاسن الأعيان. تحقيق: حسين يوسف خربوش ، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1989.

9- ابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ، د(ط .ت).
10- أحمد بن إسحاق، اليعقوبي، توفي بعد(292هـ)، البلدان، طبعة بريل ليدن، عام1860.
11- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1991.
13- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980.
14- خير الدين الزركلي، ت(1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980.
15- عبد الرحمن، ابن خلدون أبو زيد ولي الدين ت(808هـ)، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، د.ط.
16- خير الدين الزركلي، تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، (د.ط).
17- عبد المنعم، حمدي محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، د.ط.
18- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.
19- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1961.
20- عياض بن موسى بن عياض السبتي، ت(544هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، ط2، 1983.
19- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى). دار الفكر العربي، القاهرة، د (ط . ت).
20- مؤنس حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000.

المراجع الأجنبية:

1- Julien charles (a), Histoire de la frique de nord , paris ,1931.
2- Abdellah . Laroui, L'Histoire du Maghreb, un essai de Synthèse, Maspero , Pari, 1976, Tome1.

الرسائل العلمية:

1- محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1986-1987م/1406-1407هـ.
2- عمر بلبشير، مرجعية الإحياء وإشكالية الحكم في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن(6-8هـ/12-14م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 1422-1423هـ/2001-2002م.

المجلات الورقية:
1- مسعود فلوسي بن موسى، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1425هـ/2004م.
المجلات الاكترونية:
1- حماه الله ولد السالم، الأصول الفكرية لدولة المرابطين وآثارها الصحراوية، مجلة علوم إنسانية، العدد40، سنة 2006، مجلة إلكترونية .WWW.ULUM. NL

الهوامش:

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمــة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، د.ط، ص170.
[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، د.ط، ج6، ص201، الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لدول المغرب الأقصى، تحقيق: ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، د.ط، ج2، ص3.
[3]- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1984، د.ط، ج7، ص128.
[4]- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح: يوحنا تورنبرغ، طبعة أوبسالية، سنة1917، د. ط، ص73.
[5]- الناصري، المصدر السابق، ج2، ص3.
[6]- ابن خلدون، المصر السابق، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص202.
[7]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 73-74، الناصري، المصدر نفسه، ج2، ص3.
[8]- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص76، الناصري، المصدر نفسه، ص5، محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى). دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص101.
[9]- يحي بن براهيم الجدالي: زعيم قبيلة جدالة الصنهاجية، لقب بالزعيم السياسي للمرابطين، كان أميرًا و سيدًا مطاعًا في قومه، لما عرف عنه من شجاعة، وجود ومقدرة عالية؛ اشتهر برجاحة العقل ونفاذ البصيرة، وحرصه على هداية قومه، وصدق الإيمان بدينه، وهو أول من وضع أسس الدولة المرابطية، رفقة الزعيم الديني عبد الله بن ياسين، والشيخ أبو عمران الفاسي، والفقيه وجاج بن زلو اللمطي، كانت بداية ظهوره عندما خلف محمد بن تيفاوت اللمطي على قيادة التحالف الصنهاجي قبل سنة (427ه/1035م)، وهي سنة ارتحالة لأداء فريضة الحج حيث عرج في طريق عودته على القيروان أين لقي الشيخ أبي عمران الفاسي وأخبره عن حال بلاده وقومه وحاجتهم الى من يفقههم في الدين، فأرسله إلى وجاج بن زلو اللمطي، الذي أرسل معه عبد الله ابن ياسين الى قبيتله جدالة وذلك في حدود سنة (430ه/1038م) ليبدأ معًا مسيرة الدعوة والدولة المرابطية، كما أنه أول أمير

مرابطي حكم الدولة المرابطية. ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 123-124، البكري، أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت)، ص 164-165.

[10]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص75، بتصرف يسير بوتشيش، إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1991، ص 8-9.

[11]- عبد المنعم، حمدي محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، د.ط، ص37.

[12]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص129.

[13]- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح:البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، د.ت، ص8.

[14]- الناصري، المصدر السابق، ج1، ص4.

[15]- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص ص 16- 30، بتصرف.

[16]- ابن خلدون، المصدر السابق، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص243.

[17]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص26.

[18]- لمراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1967، تحقيق: إحسان عباس، ج4، ص12.

[19]- هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سيرين بن علي الجزولي، أصله حسب ما ذكره البكري من بلدة – تماماناوت- في طرف صحراء غانا، درس على يد فقيه السوس وجاج بن زلو اللمطي، رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين، واجتهد في تحصيل العلوم الشرعية حتى أصبح من خيرة طلاب الفقيه وجاج بن زلو، وعندما طلب الشيخ أبو عمران الفاسي من تلميذه وجاج بن زلو، أن يرسل مع زعيم قبيلة جدالة يحي بن إبراهيم فقيهاً عالماً يعلم قومه أمور دينهم، وبعد أن رفض الجميع وقع الاختيار عليه للقيام بتلك المهمة وهو العارف بتقاليد قومه وأعرافهم وبيئتهم الصحراوية. توفي ابن ياسين عشية يوم الأحد الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة (451هـ/1059م) بحسب ما ذكره ابن أبي زرع، ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا على مقربة من مدينة الرباط، وبني على قبره مسجداً. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، مصدر سابق، ص 132، البكري، المصدر السابق، ص165.

[20]- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص8.

[21]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص130.

[22]- حسن محمود، المرجع السابق، ص325.

[23]- عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص141، حسن محمود، المرجع السابق، ص326.

[24]- محمد لمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدبن، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1986-1987م/1406-1407هـ، ص206.

[25]- حسن محمود، المرجع السابق، ص325.

[26]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص464، فلوسي مسعود، المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1425هـ/2004م، ص82.

[27]- تامسنا بلاد من قبيلة برغواطه، وتعرف اليوم في المغرب الأقصى ببلاد الشاوية، تقع على الساحل المحيط الأطلسي. أنظر: كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ج1، ص48.

[28]- المرجع نفسه، ج1، ص48.

[29]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص464.

[30]- يقصد بقوله الأمير- علي بن يوسف بن تاشفين- ،عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص133.

[31]- البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص77.

[32]- عمر بلبشير، مرجعية الإحياء وإشكالية الحكم في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن (6-8هـ/12-14م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 1422-1423هـ/2001-2002م، ص129.

[33]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة1426 هـ/2006م، ص130.

[34]- القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي، الذي كان إمام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب الإمام مالك، وشارح أقواله المدافع عنه، وله عدة المؤلفات أهمها كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك. أنظر: كنون، المرجع السابق، ص87.

[35]- البكري، المصدر السابق، ص172.

[36]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 464-465.

[37]- المرجع نفسه، ص458.

[38]- إن فكرة الدعوة إلى التمسك بمذهب مالك ومنع الإفتاء بغيره من المذاهب تعود إلى القرن الثالث الهجري عندما تولى سحنون قضاء إفريقية سنة (234هـ/ 848م) حيث كان يمنع الفتوى من غير مذهب مالك، بل ويؤدب المخالفين على ذلك. أنظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، تحقيق: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م، ج2، ص169.

[39]- مؤنس حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000، ص20، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص465.

[40]- يعد أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، أحد الأعلام البارزين في التصوف بالمغرب الإسلامي، وهو صاحب أول ثورة ضد المرابطين عرفت بثورة المريدين، والتي جسدت الموقف المتطرف من السلطة المرابطية آنذاك، بعيداً عن الكرامات والاعتدال في تبليغ خطابه، قدر اعتماده على أسلوب الثورة والعنف، وقد عبر عن ذلك في كتابه "خلع النعلين". عن هذه الحركات أنظر: كتاب القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين..، مرجع سابق، ص163.

[41]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص63.

[42]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص451.

[43]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص113، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص451.

[44]- سورة آل عمران، جزء من الآية:104.

[45]- حسن محمود، المرجع السابق، ص172.

[46]- ابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ، د.ط، د.ت، ج4، ص173.

[47]- المصدر نفسه، ج4، ص173.

[48]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص71.

[49]- المصدر نفسه، ص78.

[50]- البكري، المصدر السابق، ص169، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص16.

[51]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص59.

[52]- البكري، المصدر السابق، ص 170، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص17.

[53]- حسن محمود، المرجع السابق، ص 174- 175.

[54]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص81.

[55]- ابن خلدون، المصدر السابق، المقدمة، ص457.

[56]- تشدد ابن ياسين في تطبيق الأحكام حتى أعتبر ذلك مأخذاً على دعوته وعلمه، ومن ذلك أنه كان يعاقب المتخلف عن صلاة الجماعة بضربه بين 20 سوطاً، والذي فاتته الركعة الواحدة فيضربه 5 أسواط. راجع: البكري، المعجب، ص169. ويبدو أن هذا التشدد قد اقتضته اعتبارات ظرفية، وهو ما أشار إليه القاضي عياض حينما نبه إلى أن ابن ياسين قد أخذ صنهاجة "بصلاة الجماعة إذ كانوا عنده ممن لا تصح له صلاة إلا مأموماً لجهلهم بالقراءة والصلاة". راجع القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ج8، ص82.

[57]- الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص148.

[58]- هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (450-520هـ/1058-1126م) قاضي الجماعة بقرطبة على عهد المرابطين، من أعيان المالكية، له عدة تصانيف، مولده ووفاته بقرطبة. أنظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج5، ص 137-316.

[59]- أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين (439-508هـ/1048-1114م). من أجل فقهاء الأندلس وزعيمهم لعهده، كان على ما يذكره تلميذه عياض ذا نظر صحيح في الفقه والأدب، تولي القضاء بقرطبة بعد وفاة والده سنة (490هـ/1097م) على عهد أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين. أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج8، ص193، الفتح بن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان. تح: حسين يوسف خربوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1989.

[60]- حماه الله ولد السالم، مقال بعنوان: الأصول الفكرية لدولة المرابطين وآثارها الصحراوية، مجلة علوم إنسانية، العدد40، سنة 2006، ص7، مجلة إلكترونية .www.ulum.nl

[61]- حماه الله ولد السالم، المقال السابق، ص8.

[62]- ابن خلدون، المصدر السابق، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص242.

[63] -julien charles (a), histoire de la frique de nord, paris,1931, p376.
حسن محمود، المرجع السابق، ص71.

[64]- الأنْبيتا: هو اسم الاتحاد اللمتوني الذي كانت الحملات العربية موجهة ضده لكون أن ملوك الإتحاد لم يكونوا قبل سنة 306هـ تاريخ تلاشيه مسلمين أو حتى يرتبطون بديانة معينة، وهو ما أكده اليعقوبي في البلدان، طبعة بريل ليدن، عام1860، ص2. حين تحدث عن بلاد أنبية وقاعدتهم غست: أو (داغست) فذكر (أن لهم ملكاً لا دين له يغزو بلاد السودان). أنظر: نفس المقال لحماة الله ولد السالم، ص14.

[65]- يتضح ذلك من طريقة قيام الدولة الفاطمية في المغرب؛ إذ اتصل الداعية عبدالله الشيعي بركب حجيج كتامة أثناء الحج وبعد عدة مقابلات اصطحبوه معهم إلى مرابعهم وفيها رابط في بلدة إكجان، وانطلق منها لمواجهة الأغالبة. نقلاً عن: المقال السابق لحماه الله ولد السالم، ص15.

[66] -Abdellah, Laroui, L'Histoire du Maghreb, un essai de Synthèse, Maspero, Paris, 1976, Tome1, p. p 146.147.10.

[67]- حماه الله ولد السالم، نفس المقال، ص2.

[68]- المقال نفسه، ص ص 2-5 بتصرف.